العقيلة زينب (س).. جبل الصبر الهاشمي وأكاديمية الوعي الثوري التاريخي



لولا حراك السيدة زينب (س) الواعي وتحملها المسؤولية التاريخية، لتحولت كربلاء – بفعل الآلة الإعلامية الأموية الممنهجة – إلى تمرّد عسكري عابر، ولقُيّدت الحادثة في سجل "الخوارج" الذين مرقوا عن الدين.

تمهيد فلسفي: من الحدث إلى الوعي

في أدبيات القراءة الفلسفية الثورية، غالبًا ما تُختزل الانتفاضات الكبرى في لحظة الصدام العسكري المباشر؛ غير أن الوعي الاستراتيجي يؤكد أن صناعة الحدث لا تكتمل أبعاده التاريخية إلا بصناعة الوعي المُعرِّف به؛ فالمعركة، مهما بلغت شدتها، تبقى ناقصة الأثر ما لم تتحول إلى سردية واعية تُمسك بزمام الذاكرة الجمعية وتوجّه مسار التأويل التاريخي.

كربلاء كمنظومة ثورية متكاملة

من هنا تجلّت النهضة الثورية لمعركة الطف/كربلاء كمنظومة متكاملة، صاغ قطبها الأول الإمام الحسين (عليه السلام) بروحه ونفسه ودمائه الزكية وتضحياته، ففكّك وأسقط شرعية السلطة الظالمة

عمليًا. بينما تولّت العقيلة زينب (سلام الله عليها) صياغة القطب الثاني؛ القطب البياني والمعرفي، لإعادة بناء العقل الجمعي للأمة وتوجيه مسار القضية.

لم تكن السيدة زينب (سلام الله عليها) مجرد ناقلة لمأساة عاطفية، ولا صدىً باكيًا لواقعة الطف، بل كانت المهندس الفكري والإعلامي لما بعد المعركة. ولولا حراكها الواعي وتحملها المسؤولية التاريخية، لتحولت كربلاء – بفعل الآلة الإعلامية الأموية الممنهجة – إلى تمرّد عسكري عابر، ولقُيّدت الحادثة في سجل "الخوارج" الذين مرقوا عن الدين. لكنها، بحنكتها الاستثنائية، حوّلت الانكسار المادي المؤقت إلى انتصار تاريخي مستدام، ممتد عبر الأجيال.

الصبر الهاشمي؛ من السكون إلى الفعل

استند هذا الدور الريادي، بالدرجة الأولى، إلى مفهوم الصبر الذي أعادت العقيلة زينب صياغته، ليتجاوز في المنهج الزينبي حدود الفهم التقليدي القائم على الاستسلام والانتظار السلبي.

فقد برهنت أن الصبر الهاشمي هو صبر استراتيجي جهادي، وأعلى درجات التماسك النفسي والذهني تحت وطأة الصدمة الوجودية، بهدف الحفاظ على خطوط الإمداد الفكري للثورة.

ويتجلى هذا التماسك في "اللحظة الصفر" التي تنهار فيها أعتى الجيوش نفسيًا؛ لحظة الوقوف على أشلاء القادة. هناك، وقفت السيدة زينب فوق جسد أخيها عبد الله الحسين (عليه السلام)، وبين أجساد أسرتها الشهداء المقطعة، في بيئة مشحونة برعب العسكر وصراخ الأطفال.

لم تتوجه إلى الأعداء بطلب استعطاف، ولم تنكفئ على ذاتها بالعجز، بل رفعت يديها نحو السماء لتعلن بصلابة حيدرية إيمانية:

«اللهم تقبّل منا هذا القربان».

في تلك الثانية، أعادت تعريف المقتول بوصفه تضحية اختيارية في سبيل مبدأ أعلى، وجرّدت القاتل من نشوة النصر العسكري، محوّلة إياه إلى مجرد حامل لأداة الجريمة.

حماية القيادة واستمرار المشروع

تلا ذلك دورها المحوري في الحفاظ على التماسك الهيكلي للثورة، وحماية الإمام علي بن الحسين السجاد

(عليه السلام) في أحلك الظروف، ضمانًا لاستمرار القيادة الشرعية والنسل المحمدي، وتجسيدًا للحكمة الإلهية في بقاء المشروع التحرري.

المعركة الإعلامية؛ من السبي إلى المنبر

مع انتهاء المواجهة العسكرية، انطلقت السيدة زينب (س) لخوض أخطر معاركها؛ المعركة الإعلامية والاتصالية، في مواجهة سيكولوجية التضليل الديني والسياسي التي مارسها النظام عبر شبكة واسعة من القصاصين والولاة، لصياغة رواية رسمية تزعم أن الحسين قُتل بسيف جدّه لأنه "شق عصا الطاعة".

هنا هندست العقيلة (س) رأيًا عامًا مضادًا، وقلبت السحر على الساحر؛ أراد النظام لرحلة السبايا أن تكون مسيرة نصر واستعراض قوة تُرهب الحواضر، لكنها حوّلتها إلى منبر ثوري متنقل وجسر لاختراق الحصار الإعلامي.

خطاب الكوفة؛ فضح النفاق الجمعي

في الكوفة، رأت مجتمعًا يعيش انفصامًا نفسيًا بين البكاء ندمًا وتوزيع التمر شفقة، فأطلقت خطبتها التقريعية اللاذعة: «أتبكون وتنتحبون؟! إي واﷲ، فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فقد ذهبتم بعارها وشنارها…».

بهذا الخطاب نزعت عن موكبها صفة "الضحايا المستحقين للشفقة"، وأفهَمت الجماهير أنهم أمام قادة يطالبون بالحق السياسي والعقائدي المسلوب. فتحوّلت الدموع من مهدئ مؤقت للذنب إلى سياط تلهب الوجدان، وتؤسس للمناخ النفسي الذي فجّر الثورات اللاحقة.

تفكيك الجبر السياسي في قصور الطغاة

لم يتوقف الزحف الزينبي عند حدود الشارع، بل اخترق الحصون السياسية، من قصر الإمارة في الكوفة إلى بلاط الحكم في الشام، في معركة نفسية وسيكولوجية استهدفت إسقاط وهم الحتمية وكسر سيكولوجية الهزيمة.

فعندما حاول عبيد اﷲ بن زياد الاحتماء بعقيدة الجبر، قائلًا: «كيف رأيت صنع اﷲ بأخيك؟»،

نسفت العقيلة منطقه السلطوي بقولها الخالد :

«ما رأيتُ إلا جميلًا؛ هؤلاء قوم كتب اﷲ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع اﷲ بينك وبينهم

فتحاجّ وتخاصم».

هنا فصلت بوعي عميق بين الفعل الإلهي المكرّم للشهداء، والجريمة البشرية التي ارتكبها الطاغية بإرادته القبيحة، مانعة النظام من اختطاف الدين لتبرير الاستبداد.

بلاغة دمشق وسقوط الهيبة المصطنعة

بلغ هذا الحق الهجومي ذروته في بلاط دمشق، حين خاطبت يزيد باسمه المجرّد: «يا يزيد»، مكسّرة البروتوكول السيادي، وهادمة هيبته المصطنعة أمام قادته وجيشه. ثم أعلنت معادلتها التاريخية:

«فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوا لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا…».

بهذا الخطاب، أثبتت (سلام ا عليها) بأن القوة المادية، مهما عظمت، ستبقى عاجزة أمام خلود الفكرة والمبدأ، ونقلت الأمة من حالة الاستسلام إلى الجرأة والمواجهة.

التأسيس المؤسسي؛ من الدمعة إلى الثورة

أثمر هذا الحراك الزينبي بعدًا مؤسسيًا وتنظيميًا صاغ تاريخ المنطقة لقرون. فقد أدركت السيدة زينب أن دم الحسين (عليه السلام) يحتاج إلى وعاء يحفظه من النسيان والتحريف، فأسست اللبنات الأولى للمعركة الإعلامية والحروب الناعمة عبر مجالس العزاء الهادف.

حوّلت هذه المجالس من طقوس بكائية سلبية إلى بؤر فكرية وحلقات تعبئة سياسية ووعي معرفي، فغدت الدمعة الزينبية وقودًا ثوريًا وجمرة تحت عروش الظالمين، ومهّدت للمناخ الذي فجّر ثورات التوابين والمختار الثقفي، حتى تهاوت أركان الطغيان الأموي وسقطت شرعيته.

خاتمة؛ المنهج الزينبي كوصية تاريخية

تأسيسًا على ذلك، يظل المنهج الزينبي نموذجًا متجددًا للإعلام المقاوم والقلم المعرفي والسياسة التحررية، مؤكدًا أن الثورات لا تنتهي بسقوط القادة في الميادين، بل تبدأ من اللحظة التي يُحرس فيها وعي الجماهير من التزييف.

وستبقى خطب السيدة زينب (س) ومواقفها، ميثاقًا إنسانيًا عابرًا للعصور، يقرر حقيقة واحدة، أن القوة المادية، مهما بلغت، تبقى واهنة أمام الإرادة الواعية والثبات الإيماني الرافض للركوع

والاستسلام.

ويبقى لواء "يا لثارات الحسين خفّاقًا إلى يوم الدين".

انتهى

---

* كاتب يمني